لاهوت التحرير في إطاره الأفريقيّ

الأب وِلْيَم مِيْدهُم اليسوعيّ (*)

إنّ كلمة «تحرير» تتردّد بقوّة بين المفردات المستعلمة في علم اللاهوت الأفريقيّ الحاليّ، إلى جانب كلمتين أخريين هما «الوحدة» و«الاستمراريّة».

فما معنى «التحرير» هذا؟ ومعلوم أنّه في صلب الوحي اليهوديّ – المسيحيّ، وقد حقّقه المسيح لكلّ البشر بثمن غال هو موته فقيامته، كما أنّه يتوجّب علينا أن نعرف ما معنى هذا التحرير في واقع كلّ إنسان. وقد يرى بعضُ المتسرّعين أنّ اللاهوت الأفريقيّ ليس إلاّ لاهوت التحرير الذي يخصّ السود في الولايات المتّحدة الأمريكيّة. أمّا نحن فنرى أنّ قراءةَ الواقع الذي يعيش فيه الأفريقيّون هذه قراءةٌ غير حقيقيّة.

ولئن كان اللاهوتيّون الأفريقيّون يتعاطفون بشدّة مع كلّ مَن يواجه مختلف أنواع القهر السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، إلاّ أنّ لهم وجهة نظر أخرى.

وعلى الرغم من ذلك، فعلينا أن نسجّل أنّ موضوع التحرير في أفريقيا لا يتحدّد بالظروف السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وحسب، بل إنّ اللاهوتيّين الأفريقيّين يتحدّثون أكثر فأكثر عمّا يسمّونه «الفقر الأنتروبولوجيّ»، هذا الفقر الجذريّ الذي يختلف عن الفقر المادّيّ. فالفقر الأنتروبولوجيّ هو الفقر الذي يجرّد الكائن البشريّ لا من ممتلكاته

(*) أستاذ الفلسفة وعلم اللاهوت في معهد السكاكيني – القاهرة.

وحسب، بل من كلّ ما يصنع كيانه وجوهره أيضًا. وبعبارة أخرى، إنّه ما يجرّده من شخصيّته، وتاريخه، وجذوره الإتنولوجيّة؛ من لغته الأصليّة وثقافته؛ من إيمانه وقدرته الخلاّقة؛ من كرامته، وطموحاته، وحقّه في الكلام... إلخ.

ولكي نفهم الإطار الذي يتمّ فيه التحرير في أفريقيا بموضوعيّة تاريخيّة، فمن المفيد أن نتوقّف على النقاط الأربع التالية: العلوم الإنسانيّة، التحليل الماركسيّ، التحرير، والفقر الأنتروبولوجيّ.

١ - العلوم الإنسانيّة

إنّ اللاهوتيّين الأفارقة مقتنعون أكثر منهم في أيّ وقت مضى بأهمّيّة العلوم الإنسانيّة أداةً للتحليل لا يمكن الاستغناء عنها في علم اللاهوت. فتلك العلوم هي التي تتيح التعريف بالثقافة الأفريقيّة وأنتروبولجيّتها وعلم الكون الخاصّ بها. ومن غير الممكن البحث في الوضع الأفريقيّ بوجه جادّ، من دون الإلمام ببعض هذه العلوم وإتقانها، مثل: علم الاجتماع، علم التاريخ، الفنون، الجغرافيا، تاريخ الأديان، علم النفس والتحليل النفسيّ، علم السياسة... إلخ.

إنّ المؤسّسات الخاصّة بالتكوين اللاهوتيّ في أفريقيا لا يمكنها التهرّب من هذا المطلب الأساسيّ، وعليها أن تضع العلوم الإنسانيّة في صُلب البرامج التكوينيّة. ويمكن القول إنّه بدون هذه الأسس التي يجب أن يتأسّس عليها اللاهوتيّ-الأفريقيّ، فإنّه سيجد نفسه عاجزًا عن تحليل المجتمع الأفريقيّ المعقّد ومحيطه الزمانيّ المكانيّ، وبعيدًا عن اهتمامات الإنسان الأفريقيّ الواقعيّة.

لا شكّ في أنّ الدراسة المطلوبة وعرة المسالك. فهي ليست محصورة في استهلاك التكنولوجيا الغربيّة عن طريق هذه العلوم، أو استخدام مخطّطات وتحليلات غربيّة ولصقها بالمجتمعات الأفريقيّة، فعلوم الإنسان مرتبطة بتصوُّر اللاهوتيّ الإنسانَ والعالم. ودراسة التحليل النفسيّ من زاوية مسيحيّة تختلف عن الكيفيّة التي بها درسه فرويد ويُونْغ.

كما أنّ وجوديّة غبريال مارسيل ليست وجوديّة كارل ياسْبِرز أو وجوديّة چان پول سارتر. إنّ كيفيّة دراسة اللاهوتيّ الأفريقيّ كلّ ذلك تتطلّب روحًا نقديّة داخليّة وخارجيّة، كما تتطلّب منه روح الإبداع؛ فعلينا أن ندرس علوم الإنسان بعين أفريقيّة.

إنّ الإطار الأفريقيّ مليء بالهموم المعقّدة، فهو منغمس جدًّا في ماضيه، ممزّق على نحو مأساويّ في حاضره، وينظر إلى المستقبل نظرة تؤدّي إلى الدوار. فكلّ مقاربة موضوعيّة تتوخّى دراسة الظروف الأفريقيّة يجب أن تأخذ في الاعتبار الأبعاد الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل. ونذكّر أنّ الأجيال الجديدة من الشباب الأفريقيّ مشتّتة الاتّجاه، ولن يملّ المعنيّ بشؤون أفريقيا من تذكير الشباب أن يعاودوا اكتشاف قارّتهم، حيث الغالبيّة العظمى من الشعب أفريقيّة الأمس واليوم، أفريقيّة الريف والمدينة.

٢ - التحليل الماركسيّ

إنّ علم اللاهوت الأفريقيّ جزء لا يتجزّأ من لاهوت العالم الثالث، هذا اللاهوت المسمّى بلاهوت المواقف، والذي ينبع من مكان معيّن وزمان معيّن ويهتمّ بتحليل البيئة التي ينبت فيها. وكثيرًا ما وصفوا هذا اللاهوت بأنّه ماركسيّ، لكنّ هذا الوصف صائب في ما يخصّ اللاهوت الأمريكيّ اللاتينيّ، وغير صائب في ما يعود إلى اللاهوت الأفريقيّ، ذلك بأنّه يمكن تطبيق التحليل الماركسيّ على المجتمع البرجوازيّ الرأسماليّ الغربيّ الذي ينتمي إليه روّاد لاهوت التحرير الأمريكيّ اللاتينيّ. فهؤلاء الروّاد أنفسهم أظهروا ذلك في تحليلهم الإمبرياليّة الأمريكيّة الشماليّة والقهر الرأسماليّ. أمّا في أفريقيا فإنّ اللاهوتيّين مهتمّون خاصّة بقضيّة «الاغتراب الثقافيّ» أو ما يسمّى «التلاشي الثقافيّ» «annihilation culturelle»، ومقولات الاغتراب الماركسيّة تنطبق بوجه كاف على مجتمع الإنسان الأفريقيّ. فالعبوديّة والعنصريّة والسيطرة الاستعماريّة التي تجسّدت في مؤسّسات قائمة، جرّدت الشعب الأفريقيّ من كلّ شيء وجعلته في وضع لا يمكن قياسه بوضع الطبقات الكادحة (البروليتاريّة)

حتّى الأكثر استغلالًا في القارّات الأخرى. إنّ كلمة «الاغتراب» لا تصف وصفًا أمينًا هذا الوضع المحزن، لذا وَجَب ابتكارُ مقولة جديدة تصف الوضع الأفريقيّ وهي «التلاشي». هذه المقولة تحاول أن تبيّن المقصد الحقيقيّ الكامن وراء السيطرة والاستغلال اللذين تعانيهما أفريقيا، من نفي هويّة الأفريقيّ الإنسانيّة، ونفي ثقافته. وهناك كتابات لا حصر لها، متوفّرة في كلّ مكان، تشهد على معاداة الاستعمار والإمبرياليّة.

وبالرغم من ذلك، هناك شيء خطير يتفوّه به مَن يقعون تحت الضغوط العقلانيّة أو يجحدون شخصيّاتهم وأنفسهم، ومفاده أنّ لا شيء يحدث من هذا القبيل في أفريقيا، وأنّ الحديث عن النفي الثقافيّ ونفي الهويّة الأفريقيّة حديث قديم مُبْتَذَل.

إنّ الاستعمار والعنصريّة الجديدين اللذين كثيرًا ما تَمّت إدانتهما يتصبان اليوم تهديدًا بارزًا في كلّ اتّجاه. كذلك الحديث عن الاشتراكيّة المادّيّة التي هي نمط جديد من القضاء على الثقافة والهويّة الأفريقيّة. ومن الغريب أنّ جميع الحضارات التي تُظهر نحو أفريقيا الإمبرياليّة نفسها، لها أنماط وأشكال تقترحها على سكّان هذه القارّة. فهي لا ترى فيها إلاّ المواد الأوّليّة وأكثرها لاستغلال الإنسان الأفريقيّ بالذات.

إنّ كارل ماركس استخدم مقولة هيغل «الاغتراب»، كما استخدم من فلسفة التاريخ الهيغليّة في الحضارات المختلفة مصطلح «نمط الإنتاج». ولكن ممّا يؤسف عليه، أنّ أفريقيا غير مذكورة عند هيغل من ضمن الحضارات المختلفة؛ فمن الطبيعيّ ألاّ يَرِد عند ماركس مصطلح «نمط الإنتاج الأفريقيّ». وفي كتابَيْن ألّفهما الشيخ أنتا ديوُب (Cheikh Anta Diop): أفريقيا في العصور القديمة، أفريقيا السوداء ومصر الفرعونيّة[1]، والحضارة أو البربريّة[2]، أوضح هذا المفكّر أن مقولة «نمط الإنتاج الأفريقيّ» لا تنطبق على مصر الفرعونيّة ولا على الحضارات السود القديمة، وهذا يعني أنّ على الأفريقيّين أنفسهم أن يقوموا بتحليل

(١) *L'Afrique dans l'Antiquité. L'Afrique noire et l'Egypte.*

(٢) *Civilisation ou Barbarie.*

مجتمعاتهم وتاريخها. فالآخرون لم يقوموا بهذا العمل بدلًا منهم ولن يقوموا. إنّ الموقف الناجم عن إرث العبوديّة، وعن الاستعمار والإمبرياليّات والعنصريّة والرأسماليّة الجدد التي يمارسها الأفارقة بأنفسهم على إخوتهم، وأيضًا ظهور الصراع الطبقيّ في أفريقيا؛ كلّ هذه القضايا ليس لها قوالبُ مسبّقة ولا دراسات. فأفريقيا غير واردة في خريطة الباحثين، وإن وَرَدت فذكرها عابر. وحينما يتحدّث الناس عن لاهوت العالم الثالث، وعن التوجّهات الاشتراكيّة، فكأنّهم يقولون إنّ على أفريقيا أن تبتكر اشتراكيّتها الخاصّة بها. وتجربة مثل تجربة نيريري (Nyerere) في تنزانيا خير دليل على ذلك الابتكار.

٣ - مصطلح «التحرير» وأصالته

كثيرًا ما يتحدّث الناس عن لاهوت العالم الثالث بصفته لاهوتًا للتحرير. ومع هذا، فمن المهمّ أن نبيّن خصوصيّة لاهوت التحرير الأفريقيّ. وإذا كان لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينيّة ظهر إلى الوجود في الستّينات، فإنّه ظهر في أفريقيا قبل ذلك. ونَبَع لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينيّة من مصدرين أساسيّين. الأوّل من كونه ردّ فعل ثلاثيّ: ردّ فعل على فشل سياسة التنمية الاقتصاديّة التي انتهجتها تلك الدول والمسمّاة[٣] (Desarollisme)، ثمّ ردّ فعل على الهيمنة الرأسماليّة والإمبرياليّة التي مارستها الولايات المتّحدة الأمريكيّة وتسبّبت في إحداث تخلّف القارة اللاتينيّة الاقتصاديّ، وأخيرًا ردّ فعل ثالث على وقاحة المدارس اللاهوتيّة الغربيّة البعيدة عن مشاكل القارّة الأمريكيّة اللاتينيّة. ومصدر لاهوت التحرير الأمريكيّ اللاتينيّ الثاني، هو القراءة الخاصّة التي يُقرأُ بها الكتاب المقدّس، لا سيّما العهد الجديد، في إطار نظرة تحريريّة. وباختصار، فإنّ للاهوت أمريكا اللاتينيّة خصوصيّته وظروفه الجغرافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة المختلفة عنها في أفريقيا.

إنّ لاهوت التحرير الأفريقيّ قد سبق على نحو ما لاهوت التحرير

---

(٣) كلمة Desarollo الإسبانيّة تعني التنمية والتطوّر.

الأمريكيّ اللاتينيّ. فقد كانت ثمار اللاهوت الأفريقيّ الأولى بروز «الكنائس المستقلّة». ففي جنوب أفريقيا ظهرت بشائره الأولى لدى تأسيس كنائس خاصّة منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وفي زائير وفي الكنغو برازافيل ظهر ما عُرف بالكِيمْبانغيّة (Kimbanguisme) والماتوانيّة (Matwanisme) بعد الحرب العالميّة الأولى. ومنذ ذلك الحين ظهرت في أغلب دول أفريقيا الحركات الدينيّة المستقلّة، خاصّة في زامبيا ونيجيريا وساحل العاج وغانا... كما نمت في داخل الكنائس الرسميّة - الكاثوليكيّة والبروتستانتيّة - منذ حوالى أربعين سنة مناقشات حول كيفيّة تأسيس مسيحيّة أفريقيّة مرتبطة بالكنيسة العالميّة. هذا بالإضافة إلى مسألة «اللاهوت الأسود» وتحقيق الشخصيّة الأفريقيّة المستقلّة. وقد ظهر في العام ١٩٥٦ أوّل كتاب جماعيّ وقّعه كهنة أفارقة وعنوانه كهنة سود يتساءلون.

وفي العام ١٩٧٨ ظهرت مقالة مهمّة أحدثت ضجّةً في أوساط المُرْسَلين وعنوانها الاستقالة، كتبها الأب فَبيان إيبُوسي اليسوعيّ (Fabien Eboussi). كما أصدر المؤلِّف نفسه في العام ١٩٨١ كتابًا بعنوان مسيحيّة بلا سحر بين الوحي والسيطرة.

وفي ٢٠ ديسمبر العام ١٩٧٧ أُنشِئت في أكرا «جمعيّة اللاهوتيّين الأفارقة المسكونيّة»، كما بدأ ظهور أوراق في اللاهوت الأفريقيّ في العام ١٩٧٩.

حينما يتحدّث اللاهوتيّون عن الحركات التي خرجت منها الكنائس الأفريقيّة المستقلّة، فإنّهم يستخدمون مصطلحات مختلفة مثل «الحركة المسيحانيّة» أو «النبويّة» أو «الحركة الألفيّة» إلخ. ولكنّ هذه المصطلحات تعبِّر عن القضيّة نفسها: الجهود المبذولة للتحرير، والبحث عن خلاص الشعب الذي يشعر بخطر الهلاك. ومن المعروف أنّ الكنيسة الرسميّة لا تنظر بعين الرضى إلى روّاد حركات الكنائس المستقلّة، كما تنظر بعين الشكّ في الجهود التي تصبّ في دائرة اللاهوت الأفريقيّ.

وممّا لا ريب فيه أنّ إشكاليّة التحرير هي ضرورة حقيقيّة يُحتّمها

الوضع في أفريقيا. والتحرير يظهر ردَّ فعل على «العنصريّة» ونظريّة «الفصل العنصريّ» في جنوب أفريقيا خاصّة، كما يمكن تبيُّنه في خطب الأسقف دِيزمُوند تُوتُو. وإنّه من الصعب جدًّا على مَن لا يعيشون في أفريقيا أن يتصوّروا ما كان يمثّله «القهر العنصريّ»، المبنيّ على المؤسّسات الرسميّة، قبل انتخابات ٢٥ أبريل ١٩٩٤ في تلك البلاد. هذا النظام الذي كان يدّعي أنّه مؤسّس على الكتاب المقدّس لم يكن إلاّ نفي الكتاب المقدّس نفيًا متجسّدًا. ومن الغريب جدًّا أنّ الكنائس الرسميّة قَبِلت مدّةً طويلة هذا النظام. وما يجب أن نفهمه أنّ المسيحانيّة التي بشّرت بها الكنائس المستقلّة في جنوب أفريقيا ليست بأيّ حال من الأحوال نتيجة حركات شعوذة قام بها السود، بل إنّها قراءة ممارسة الإنجيل الأفريقيّة. وهي القراءة الوحيدة الممكنة في جنوب أفريقيا خاصّة، لدى شعب مقهور سَحَقَه البيض، معتبرين أنفسهم شعب الله المختار.

وهكذا نرى في جنوب أفريقيا إطارًا مختلفًا عنه في دول أمريكا اللاتينيّة. فأوّل الذين رفعوا أصواتهم في أفريقيا واتّجهوا إلى الله ليحرّرهم من القهر، هم الشعوب المقهورة أنفسهم. أمّا في أمريكا اللاتينيّة فإنّ الذين عبّروا عن آلام شعوبهم في لاهوت التحرير لم يكونوا من الهنود أصحاب البلاد الأصليّين ولا كانوا العبيد القدماء، بل كانوا نخبة مثقّفة خرجت من صفوف المهاجرين الغربيّين.

إنّ إشكاليّة أفريقيا فرضت نفسها ردَّ فِعْلٍ على الاستعمار، وهذا ما حاولت أن تفعله الكنائس المستقلّة والشيع المسيحيّة التي نشأت في المستعمرات القديمة، وتجربتها في هذا المجال تلتقي تجربة أمريكا اللاتينيّة، ولكن المأساة في أفريقيا هي أنّ المشروع الاستعماريّ أدّى إلى تلاشي الثقافة الأفريقيّة. ومن هنا فإنّ على أيّ مفكّر لاهوتيّ أفريقيّ أن يضع هذا التلاشي الثقافيّ في صلب اهتماماته. وإذا كان البُعد السياسيّ في اللاهوت الأفريقيّ يُعرَّف بأنّه جهود المقهورين للتحرّر من النظام الاستعماريّ، فعلينا أن نقول إنّ هذا البعد السياسيّ لا يزال مهمًّا حتّى بعد التحرّر من الاستعمار، لأنّ القهر السياسيّ ما زال يُمارَس في الأنظمة السياسيّة المستقلّة نفسها، وتقع على

اللاهوت مهمّة نبويّة يجب أن تساير مهمّة الإنجيل النبويّة. كما أنّه على اللاهوت أن يتحرّر من الإيديولوجيّات الخادعة.

إنّ مشروع التلاشي الثقافيّ كان وما زال مشروعًا استعماريًّا وهو يعتبر أخطر ما يعانيه الإنسان الأفريقيّ. فالهدم لم يطل اللغات المحلّيّة والفنون وحسب، ولكنّه طال المجتمعات ذاتها بكلّ مؤسّساتها السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة. إنّ خلاص الإنسان الأفريقيّ يأتي أوّلًا من خلال بعث ثقافته من الفناء، ومعيار صدق الإنجيل هو تحقيق هذا البعث في الثقافة الأفريقيّة. وهناك قيمة أخرى لا تقلّ أهمّيّة عن الثقافة، عَنَيْتُ الفنّ الأفريقيّ. إنّ مَن يبشّر بالثقافة الأفريقيّة يجب أن يسمح للفنّ الأفريقيّ بأن يصبح لغة جديدة لإعادة خلق الشعب المسيحيّ الأفريقيّ. والتجديد الطقسيّ الذي يتمّ الآن في القارّة الأفريقيّة هو ظاهرة مشجِّعة. ولكن ما يلفت النظر، بعد أكثر من ثلاثين عامًا مضت على قيام المجمع الفاتيكانيّ الثاني، أنّ محاولات التجديد الطقسيّ هذه لا تزال محصورة في بعض المدن الكبيرة ويطغى عليها طابع الفلكلور، وليست تجديدًا حقيقيًّا في العمق.

٤ - الفقر الأنتروبولوجيّ والفقر البنيويّ

منذ نهاية المجمع الفاتيكانيّ الثاني، كثر الحديث عن الفقراء في الكنيسة. واستطاع لاهوتيّو أمريكا اللاتينيّة تعريف ما يقصدونه بالفقر في إطار ظروفهم الخاصّة. فمن وجهة نظرهم، إنّ الفقير هو مَن لا يمتلك القيم المُعترَف بها في مجتمع محدّد، مثل الشرف لدى مجتمعات العصور الوسطى، أو امتلاك النقود في المجتمعات الرأسماليّة، أو امتلاك التكنولوجيا في المجتمع العصريّ... كما أنّ تحليلهم أسباب التخلّف في مجتمعهم أتاح لهم أن يبرهنوا أنّ فقرهم لصيقٌ بالتخلّف الذي هو بدوره، جزء من بنية الرأسماليّة. وإنّ هذا الفقر - كما أعلن عنه أساقفة أمريكا اللاتينيّة الذين اجتمعوا في بويبلا العام ١٩٧٩ - ليس مرحلة انتقاليّة، لأنّه نتيجةٌ ضروريّة لمجمل ظروف البُنى الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة التي يتولّد منها هذا الفقر. كما أنّ مثل هذا الواقع يحتّم تحوّلًا سياسيًّا

اجتماعيًّا اقتصاديًّا وتحوّلًا عميقًا لكلّ هذه البُنى التي تولّد الفقر.

ويمكن تطبيق مفهوم الفقر هذا على وضع أفريقيا، مع ملاحظة الفرق التالي بين الحالتين: فمشكلة الفقر في أمريكا تُعرَض من منطق «المِلْكيّة»، في حين أنّها في أفريقيا يجب أن تُعرض على مستوى «الوجود» نفسه. وهي الطريقة عينها التي ذكرناها في كلامنا على «البروليتاريا» في الغرب.

ففي أمريكا اللاتينيّة، نجد أنّ مكافحة الفقر مرتبطة بفكرة الصراع الطبقيّ. ويمكن الكفاح أن ينحصر في ملكيّة الخيرات والمشاركة في السلطة فحسب. أمّا في أفريقيا فنجده يتركّز بشكل خاصّ على المصالحة بين الناس والمشاركة العادلة والأخويّة.

قد يكون ثمّة دراسات عديدة في قضيّة «التخلّف» بأفريقيا. ولكن ليس من بينها دراسة واحدة عن «الفقر». والكتاب الوحيد الذي يتحدّث عنه، وقد ألّفه ألبير تِفُوذجريه (Albert Tévoédjré)، يختصّ بالعالم الثالث عامّة وليس بأفريقيا على وجه التحديد(٤).

وإذا كانت مشكلة الفقر تُعرض في أمريكا اللاتينيّة من منطلق «الملكيّة» أو عدمها، فإنّ مشكلة الفقر في أفريقيا يجب عرضها من منطلق «الوجود» أو عدمه، (وما يدور في رواندا وزائير وبروروندي والصومال... إلخ، لهو أكبر دليل على ذلك). ولا يكون العرض على مستوى معضلة الفقر بمعناها المادّيّ فحسب، بل السياسيّ والثقافيّ أيضًا. وليس هذا الفقر الأفريقيّ ثمرة التخلّف البُنيويّ وحسب، بل هو ناتجٌ من عمليّة التلاشي الثقافيّ التي ذكرناها سابقًا. ولهذا السبب يُسمّي بعض اللاهوتيّين الأفارقة هذا الفقر «الفقر الأنتروبولوجيّ».

إنّ مشكلة الفقر تتضمّن، في ما يخصّ الإنسان الأفريقيّ، قبل كلّ شيء نفيَ إنسانيّة الإنسان الأسود بواسطة قوى القهر. فما من فقر أعظم من أن يُجرَّد الإنسان من كيانه. وكما ذكرنا سابقًا، أنّ عمليّة النفي هذه تشمل الثقافة والاقتصاد والمجتمع بكلّ مؤسّساته. فالإنسان الأفريقيّ يجد نفسه غريبًا في أرضه، فاقدًا شخصيّته وثقافته – وهو الذي يعيش، في قارّة

(٤) وعنوان الكتاب: *La pauvreté richesse des peuples.*

من أغنى قارّات العالم، كما يعيش أفقر إنسان على وجه الأرض -. وأخطر من ذلك، أنّ الثقافة الاستعماريّة لم تُفرْغه من جوهره وحسب، بل علّمته كيف يحتقر ذاته، وكيف يهدم ذاته بذاته. وتُعاني أحيانًا أفريقيا المستقلّة مواقف أشدّ مأساويّة ممّا عانته تحت نير الاستعمار. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ المرسَلين لم يكونوا غريبين عن عمليّة «التلاشي».

إنّ «الفقر الأنتروبولوجيّ» هوّة لا قرار لها. فلا المرتّبات العالية في جنوب أفريقيا، ولا الشفقة التي يُبديها قدامى المستعمرين على الأفارقة، ولا ما يقوم به رجال السلطة اليوم، ولا الدعاية الإيديولوجيّة التي تدّعي الثوريّة؛ يمكنها تغيير حالة «التلاشي» التي يعيشها الإنسان الأفريقيّ. إنّ إعادة الكرامة والاعتراف بكيان الإنسان الأفريقيّ هما فقط السبيل الوحيد لإحداث التغيير المنشود.

نستنتج ممّا سبق، أنّ «الفقر الأنتروبولوجيّ» هو نفي الإنسان الذي وصفه الكتاب المقدّس بأنّه مخلوق على صورة الله ومثاله، وأخ ليسوع المسيح ابن الله المتجسّد. إنّ الفقير في الأسفار المقدّسة يتقدّم إلى الله بصفته إنسانًا ضعيفًا، بدون موارد وبدون سند إنسانيّ، ويعترف بخطيئته ويبتهل إلى الله لكي ينقذه ويحرّره من حالة الخطيئة والبؤس التي يعيش فيها. وبحسب الكتاب المقدّس لا يقبل الفقير بالخطيئة ولا أن يظلّ في حالة البؤس، بل على العكس، فإنّه يتّجه إلى الله. وليست التطويبات الإنجيليّة دعوة إلى البؤس، بل دعوة إلى شحذ القوّة، وهي رسالةُ رجاء وتحرير لفقراء يهوه. لذلك، فالقراءة الأفريقيّة المنطلقة من الظروف التي يعيشها الناس ستسمح للمسيحيّين بأخذ موضوع التحرير مأخذ الجدّ على نحوِ ما جاء في الكتب المقدّسة منذ أن حدَث «الخروج» من مصر عن يد موسى، وحتّى العهد الجديد.

وسيتّضح من هذه القراءة أنّ رسالة الخلاص لا تقتصر على التحرير من الشريعة والخطيئة والموت عن يد يسوع المسيح لرفض عمليّة التلاشي الأنتروبولوجيّ وإدانتها، بل إنّها برنامج متكامل لإعادة اعتبار البشريّة على خطى المسيح. إنّه مشروع تأسيس لاهوت التنمية الأفريقيّ.